مؤسسة التحايا

قِسْمُ التَّفْرِيغ وَالنَّشْر

تفريغ

سلسلة

الأمة الواحدة
حقوقٌ وواجبات



للشيخ: حارث بن غازي النظاري

إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

النوع : إصدار مـــرئي

العدد : ٣ دروس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

الأمة الواحدة؛ حقوق وواجبات

للشيخ/ حارث النظاري (رحمه الله)

الصادرة عن مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

ربيع الأول 1435 هـ – يناير 2014 م

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغ وَالنَّشْرِ

ملاحظات بين يدي المادة

- كان أسلوب الإلقاء للشيخ حارث النظاري عفوي فيتخلله شيء من الضحك مع الحضور، وكثرة التكرار من باب توكيد المعنى وتبسيطه وسؤال الحضور لجذب الانتباه، فقمنا بحذف هذه الأمور من التفريغ، وإبقاء لب المادة الأساسي.
- قمنا بإضافة بعض النصوص والكلمات؛ لكي يستقيم المعنى، ويكون اللفظ مقارب للأسلوب الكتابي، وهذه الكلمات المُضافَة هي باللون الرصاصي.
- كان الشيخ يَنقل نص لأحد الأئمة ثم في أثناء النقل يشرح قول الإمام، فجعلنا كلام الشيخ باللون البني بين شرطتين للجملة الاعتراضية، لكي لا يَحصل الخلط بين كلام الشيخ وكلام الأئمة.
- بعض النقولات التي نقلها الشيخ لابن تيمية أو غيره، اكتفى الشيخ بذكر اسم الكتاب وأحيانًا يذكر رقم المجلد، فحذفنا اسم الكتاب وجعلناه في الحاشية مع رقم المجلد والصفحة، مع تخريج أحاديث النبي ﷺ وذكر الآيات؛ لتعم الفائدة.
- أضفنا العناوين استنادًا إلى نوع الموضوع؛ لكي يسهل فهرسة المادة.

الدرس الأول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، أما بعد:-

هذا اللقاء هو مواصلة للقاءات سابقة، قبل أشهر كان عندنا الدورة الشرعية المكثفة، كان فيها مجموعة من المحاضرات المرافقة والتكميلية عن أحكام الإمارة سواءً كانت الخاصة أو العامة، العامة المقصود بها الخلافة الإسلامية، أحكام الخلافة، والخاصة -الذي كنتُ أريد الحديث فيه في ذلك الوقت- هو عن الجماعات الإسلامية، وهذا يعتبر تكميل لِما سبق الحديث عنه.

الموجود الآن في الأمة الإسلامية مجموعة جماعات إسلامية عاملة للدين، والجماعة الواحدة ليست هي الأمة، الجماعة هي جماعةٌ من الأمة، وأمة محمد ﷺ واسعة تَسَع الجميع.

من هي أمة محمد ﷺ؟ هي أمة الدعوة وأمة الإجابة.

أمة الدعوة: هم الذين بُعث فيهم محمد ﷺ، من مَبعث محمد ﷺ إلى آخر الدهر وقيام الساعة، هذه المجموعة والأمم كلها هي أمة محمد ﷺ وهي أمة دعوة، نبيهم محمد ﷺ، سواء آمنوا به أو كَفروا به هم أمة الدعوة الذين لا بُدّ لهم أن يستجيبوا لمحمد ﷺ.

وأمة الإجابة: هم كل من استجاب للنبي ﷺ، المستجيبون لله ولرسوله هم أمة محمد ﷺ.

فمن جاء بأصل الإيمان واجتنب الكُفر فهو من أمة محمد ﷺ، فيدخل في ذلك الطائع والعاصي والتَّقِي والفاجر والمبتدع -طبعًا ما لم تكن بدعة مكفرة- والسني، كل هؤلاء أمة محمد ﷺ، لا ينبغي لمجموعة من هؤلاء أن يقولوا: نحن الأمة ومن عادانا خارج محمد ﷺ. هذه كلها هي أمة محمد ﷺ.

قال ابن تيمية؛ الآن يتكلم ابن تيمية -رحمه الله- عن بعض المسلمين المنتمين في بعض الفِرَق المبتدعة هل هم من أمة محمد ﷺ أو لا؟ قال: "**مَن يقول ببعض التَّجَهُّم كالمُعتزلة ونحوهم الذين يدينون بدين الإسلام باطنًا وظاهرًا فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب**"[1]

مبتدعة وعندهم شيء من التجهم وهم معتزلة، قال: "**هؤلاء من أمة محمد ﷺ ولا ريب**"!

وقال: "**وكذلك مَن هو خير منهم كالكُلَّابية والكرامية**" وهؤلاء عندهم تأويل في الصفات وهم من المرجئة، عندهم إرجاء.

وقال: "**وكذلك الشيعة المُفضِّلين لعلي ومَن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده بنبوة محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا، وظنَّ أن ما هو عليه هو دين الإسلام فهؤلاء أهل ضلال وجهل وليسوا خارجين عن أمة محمد ﷺ**"

فذَكَر الذين من أمة محمد ﷺ مَن عندهم التجهم والمعتزلة ومن لديه إرجاء ومَن فيهم تشيُّع، قال: "**هؤلاء من أمة محمد ﷺ**" ليسوا خارجين عن أمة محمد ﷺ، بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شِيَعًا.

فهؤلاء عندهم معصية، وعندهم خطأ، وعندهم ذنب، وعندهم بدعة، لكن هؤلاء المبتدعة على ما فيهم من البدع هم من أمة محمد ﷺ ليسوا بكفار. والأمة -أمة محمد ﷺ- تَدخل في الولاء، يعني ولاء المسلم هو لكل المسلمين، لكل المؤمنين، للتقي والفاجر، قال -تعالى-: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [2] و{إنما} يعني للقَصْر والحَصْر.

وقال النبي ﷺ: (المسلم أخو المسلم) [3] ما دام أن هذا الشخص مسلم وإن كان عاصيًا أو مُذنبًا أو فيه بدع، فهو مسلم، فهو أخو المسلم. هنا أيضًا كلام لطيف لابن تيمية، قال: "**فمن كان مؤمنًا وَجَبَت موالاته من أي صنف كان، ومَن كان كافرًا وَجَبَت معاداته من أي صنف كان، ومَن كان فيه إيمان وفيه فجور -انتبه لهذا الكلام- أُعطِيَ من الموالاة بحسب إيمانه ومن البُغض بحسب فجوره، ولا يُخرَج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقوله الخوارج والمعتزلة**". [4]

---

[1] مجموع الفتاوى (448/17).

[2] سورة الحجرات، الآية (10).

[3] صحيح مسلم: (2564).

[4] مجموع الفتاوى (228/28-229).

الإنسان إذا أذنب ذنب وفعل خطأ وابتدع بدعة لا يخرج من الإسلام ما دامت أن هذه ليست الكفر الصريح، لا زال من المسلمين، الخوارج يُكفرون فاعل المعاصي، والمعتزلة يحكمون عليه في الآخرة بالخلود في نار جهنم، فالعاصي عندهم إذا مات من غير توبة فالمعتزلة يحكمون عليه في الآخرة أنه خالد مُخلَّد في نار جَهنم.

فالولاء لله -تبارك وتعالى- ورسوله ولجميع المسلمين، مَن كان مسلمًا ولو كان عاصيًا فَلَهُ من الولاء بحسبه.

مكان الولاء وتحقيق الولاء وانعقاد الولاء هو على الإيمان وعلى الدين والاستسلام لله -تبارك وتعالى-، ليس الولاء على اعتبار التنظيمات أو المنظَّمات أو الجماعات أو الدول، فنجعل مَعقِد الولاء هو الجماعة، كمن يقول: "هل هذا من جماعتنا؟ العالم فلان مع أي جماعة؟" لا، هو مسلم له ولاؤه، فمَعقِد الولاء ليس الجماعة ولا التنظيم ولا الدولة، مَعقِد الولاء هو الإسلام، فلكل مسلم ولاء، أن يجعل الإنسان مَعقِد الولاء على غير هذا، هذا من الخطأ الكبير، يجعل مَعقِد الولاء ليس على الإيمان وإنما على شيء خاص داخل الإيمان وهو التنظيم أو الجماعة أو الدولة وما إلى ذلك، هذا خطأ كبير جدًا، لماذا؟ لأن الله -سبحانه وتعالى- جمعنا على الإيمان وعلى الإسلام {الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}

سنبقى مع ابن تيمية في فقرات كثيرة، لماذا ابن تيمية؟ لأنه محل اتفاق من جميع العاملين للإسلام في هذا العصر، الكل يحترم ابن تيمية، ويَعُدُّه من أئمة الإسلام، وأن عقيدته سليمة، ومذهبه صحيح، فهو محتل احترام من جميع العاملين للإسلام.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "**وأما رأس الحزب -طبعًا ليس الحزب السياسي، في زمن ابن تيمية لم تكن الأحزاب السياسية موجودة، وإنما الحزب المقصود بهم الجماعة المتحزبة، مثل ما نقول: غزوة الأحزاب - هل المقصود أحزاب سياسية؟ ليست أحزاب سياسية وإنما اجتمع الناس تحت معنى وراية واحدة فَسُمُّوا حزب، إذن قصده هنا يتكلم عن رأس الحزب يعني رأس الجماعة أو المجموعة أو الطائفة- وأما رأس الحزب، فإنه رأس الطائفة التي تتحزب -أي: تصير حزبًا- فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم -يعني لهم ما للمؤمنين، وعليهم ما على المؤمنين- وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمَّن لم يدخل في حزبهم سواءً كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمَّه الله -تعالى- ورسوله،**

فإن الله ورسوله أَمَرَا بالجماعة والائتلاف و نَهَيا عن الفرقة والاختلاف، وأَمَرَا بالتعاون على البر والتقوى، ونَهَيا عن التعاون على الإثم والعدوان".[5]

المسلمون أمة من دون الناس، مختلفة بقِيَمها وأفكارها واتباعها للنبي ﷺ، فهي أمة من دون بقية الأمم، لها اعتبار خاص أنها أمة مُستقلة عن بقية الكفار، المجاهدون ليسوا أمة من دون المسلمين، ليست لهم عصبية دون المسلمين، يعني مثال بسيط: الجهاد عبادة وفريضة من الفرائض أمر الله –سبحانه وتعالى– بها عباده مثل عبادة الحج، هل يصح أن الحجاج يقولوا: نحن طائفة وهؤلاء الذين لم يحجوا طائفة، وهؤلاء ضد الحجيج! وهؤلاء مع الحجيج! وأجعلها مجال للتعصب؟! مستنكَرة وغير مقبولة، لماذا؟ لأننا فقهنا الحج، لكن الجهاد لم نفقهه بشكل جيَّد إلى حد الآن، مازال الجهاد فيه...

إذن الحجيج طائفة من المسلمين قائمة بعبادة من العبادات، ليس لهم ولاء داخل المسلمين خاص كولاء مجموعة الحجيج، وولاء مجموعة الصائمين، وولاء مجموعة المتصدقين، لا! كذلك الجهاد، الجهاد واجب على المسلمين، وليس له ولاء خاص، لا بأس أن يدعو غيره للجهاد كما الإنسان إذا خرج للحج لا يرى نفسه دون الآخرين، من كان عليه حج ولم يحج حَثَّه ودَعَاه ورَغَّبه في القيام بما أمر الله –سبحانه وتعالى– به، والمسلم الذي لم يحج ليس عدوًا للحجيج ولو كان مخطئًا وآثمًا، فهو ليس عدو! هو مجال للدعوة والتنبيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك المسلم الذي لم يُجاهِد ليس عدوًا للمجاهدين، هو مجال للدعوة والتنبيه والترغيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذن المسلمون أمة من دون الناس ولكن المجاهدين ليسوا أمة من دون المسلمين.

هذه الجماعات والسَّير في هذه الجماعات يحصل بين المسلمين عدوان وظلم، هذا يظلم هذا، وهذا يظلم هذا، رغم الظلم تبقى الأُخوَّة الإيمانية، أخوك المسلم أخوك وإن ظلمك.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "**والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله، وإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظَلَمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية**"[6] يا سلام! هذه العبارة ممتازة جدًا "**الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية**".

---

[5] مجموع الفتاوى (**92/11**).

قال –تعالى–: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [7]

فقال ابن تيمية: "**فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمَر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين**" [8]

وقال أيضًا في (لفتاوى الجزء الثالث): "**ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين –حصل بين السلف –رضوان الله عليهم– قتال ولكن الولاء كان باقي– لا يعادون كمعاداة الكفار –تحصل عداوة بين المسلم والمسلم وتحصل الخصومة ولكنها ليست العداوة كعداوة الكفار– فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض –انتبه انتبه لهذه، لاحظ السلف –رضوان الله عليهم– وهذا كلام ابن تيمية– قال: يقبلون الشهادات في ما بينهم، ويأخذون العلم عن بعضهم البعض وإن كان بينهم قتال! فيروي هذا عن هذا عن النبي ﷺ ويتوارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك**" [9] الصحابة والسلف –رضوان الله عليهم– فقهوا الدين.

إذن المسألة الأولى من المسائل المهمة هي الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ليس الولاء محصور في طائفة أو فرقة أو حزب، بل لجميع المسلمين؛ هذا حتى ينجو الإنسان عند الله –تبارك وتعالى–.

إذن ماذا نريد؟ نريد الله والدار الآخرة، كل هذه الحساسيات وكل هذه الخلافات ليست شيء، إذا جاءت الساعة لمقابلة العبد ربه –تبارك وتعالى– جميع هذه الحساسيات تصغر وتتقزَّم ويرجو الإنسان أن يَخلُص لله –تبارك وتعالى– سالمًا، ويريد رضوان الله –تبارك وتعالى– والدار الآخرة.

إذن المسألة الأولى وهي الولاء، مع الولاء لا بُدّ من أمر آخر مهم جدًا وهو الإنصاف.

للإنصاف عدة أمور حتى يكون الإنسان منصف مع إخوانه المسلمين أهل القبلة، عندنا مجموعة أمور:–

---

[6] **مجموع الفتاوى (208/28).**

[7] **سورة الحجرات، الآية (9).**

[8] **مجموع الفتاوى (258/28).**

[9] **مجموع الفتاوى (209/3).**

-الأمر الأول/ من قواعد الإنصاف عدم القول على الله بغير حق وبغير علم، لا تعلم؟ اسكت، لا تعلم؟ اسأل، لا تتصدر في شيء لا تعرفه، لا تكن رأسًا في الباطل، يَسَعك السكوت، لا تعلم؟! اسكت، لازم يكون لك في كل مسألة قول؟ لا بُدّ من كل حدث أن يكون لك تعليق؟ لا تعلم، اسكت، ولا تنسب لله -تبارك وتعالى- ما لم يقل وما لم يحكم، قال الله -سبحانه وتعالى-: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [10] شيء لا تعلمه، لا تقله.

-الأمر الثاني/ ألا نجعل أحكامنا واجتهادنا ونظرتنا وترجيحنا هو حكم الله! اجتهادك؟ لا، هذا اجتهادك، فاجتهادك شيء وحكم الله شيء آخر لا تَنُص على أنه هو حكم الله -تبارك وتعالى-، أخرجَ الإمام مسلم عن بريدة أن النبي ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيشٍ أو سَرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: (وإذا حاصرتَ أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تُنزِلهم على حكم الله، ولكن أَنزِلهم على حكمك فإنك لا تدري أتُصيب حكم الله فيهم أم لا) [11] ؛ لأن حكمك اجتهاد، وحكم الله هو الذي يأتي بالنص الصريح.

قال ابن القيم -وهذا مفيد في توضيح الحديث-: "**لا يجوز أن يقول لما أدَّاه إليه اجتهاده ولم يظفر فيه بنص عن الله ورسوله: أن الله حرم كذا، أو أوْجَب كذا، أو أباح كذا، وأن هذا هو حكم الله**". [12]

المسألة الاجتهادية لا تجعلها حكم الله؛ لأن هذا الاجتهاد هو ما أظن أن هذا هو حكم الله وليس قطعًا، المسائل القطعية محدودة، التي نصَّ الله -تبارك وتعالى- عليها وبيَّنها النبي ﷺ بنص صريح هذه حكم الله -تبارك وتعالى-، أما اجتهادي أنا في فهمي للمسألة فلا أقول بأنه حكم الله -تبارك وتعالى-؛ لذلك أرشد النبي ﷺ الصحابة: (فأرادوك أن تُنزِلهم على حكم الله فلا تُنزِلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك) فقل هذا اجتهادي وأظن والله أعلم أنه حكم الله، فأُصيب وأُخطِئ، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطئتُ فمن نفسي والشيطان.

وقال ابن القيم في (إعلام الموقعين) عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "**وسمعتُ شيخ الإسلام يقول: حضرتُ مجلسًا فيه القضاة وغيرهم، فَجَرَت حكومة -منازعة وحُكْم- حَكَم فيها أحدهم بقول زُفَر -زفر هذا من أئمة**

[10] سورة الأعراف، الآية (33).

[11] صحيح مسلم: (1731).

[12] إعلام الموقعين عن رب العالمين – (82/2)، ط: دار ابن الجوزي ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان.

المذهب الحنفي– فقلتُ له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به وألْزم به الأمة؟ قل: هذا حكم زفر، ولا تقل هذا حكم الله". [13]

إذن المسألة الأولى من مسائل الإنصاف، الأمر الذي لا أعلمه لا أتكلم فيه.

الأمر الثاني، المسألة الاجتهادية أقول أنها اجتهاد ولا أنزلها أنها هي حكم الله –تبارك وتعالى– وهي أمر الله وهي نص الله –تبارك وتعالى–! لا، هذا اجتهاد.

المسألة الثانية في الإنصاف أيضًا، ما ثَبَت بيقين لا يُنفى بالشك، "فلان ابن فلان مسلم، احتمال يكون ارتد"! لفظة "احتمال" لا تصح بل تحتاج إلى بيِّنة؛ لأنك الآن تُخرِج فلان من الإسلام فتحتاج إلى بيِّنة وإلى دليل، لا يوجد هناك "احتمال" بل ائتِ بالبينة أو اسكت، فما ثَبَت بيقين لا يزول بالشك، هذه قاعدة، الأصل فيه التقوى فلا يكون الشك هو الذي يُلغي اليقين، والأصل فيه الإيمان فهو مؤمن، والأصل أن فلان ثقة فيبقى ثقة، إلا إذا جاء الدليل وجاءت بيِّنة تنقض الحكم السابق.

فإخراج الناس من الإسلام ومن الإيمان والحكم عليهم بالردة والخروج من الإسلام لا يكون بالشكوك والظنون والاحتمالات والحَدس والتوقعات، إنما يكون ببيِّنة؛ لأن هذا أمر عظيم جدًا وهو إخراج مسلم من الإسلام إلى الكفر وتنبني عليه أحكام عظيمة، ومنها: سَفْك الدم وإباحة المال، هذه عظيمة جدًا! فاليقين لا يزول إلا بيقين مثله.

فالإنصاف كان الحديث فيه عن نقطتين:–

- النقطة الأولى/ عدم القول على الله بغير حق.
- والنقطة الثانية/ ما ثَبَت بيقين لا يزول إلا باليقين، وما يثبت بيقين لا يزول بالشك.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا لطاعته وأن يصرف عنا معاصيه، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[13] **إعلام الموقعين عن رب العالمين – (73/6)، ط: دار ابن الجوزي ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان.**

الدرس الثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، أما بعد:-

كان الحديث في اللقاء السابق عن الولاء للمؤمنين، ثم كان الحديث عن الإنصاف وذكرتُ من قواعد الإنصاف قاعدتين

- الأمر الأول: عدم القول على الله بغير حق.
- والأمر الثاني: هو أن اليقين لا يزول بالشك.

اليوم الحديث عن قاعدة أخرى من قواعد الإنصاف، إنصاف أهل القبلة والمسلمين وأمة محمد ﷺ، كما أنه لا بُدّ من ولاء للمسلمين جميعًا، كذلك لا بُدّ لنا أن نُنصِف المسلمين، العدل، العدل معهم والإنصاف.

المسألة الثالثة من قواعد الإنصاف "أهل العلم قد يُخطِّؤون ولكن لا يتسرعون في التكفير" ذكرتُ هنا "أهل العلم"، ولم نَقُل: المسلم قد يُخطِّئ ولا يتسرع في التكفير؛ لأن الذي يُصدر الأحكام هو الإنسان العالم، فالإنسان الذي ليس لديه معرفة بكلام الله ولا بكلام رسول الله ﷺ ولا بالإجماع ولا بضوابط القياس، كيف له أن يحكم؟! لأن هذه المسألة مسألة علم، يصح أن يتكلم فيها العالم المجتهد والمؤهَّل، وكثير من الناس يظن أنه مجتهد، وأنه استوعب المسألة وأنه صار فيها من المجتهدين، فهذا مسكين! عَلِمْتَ شيئًا وغابت عنك أشياءُ.

كثير من الذين يدَّعون أنهم مُجتهدون هم في الحقيقة مُقلِّدون، يحفظ الأدلة وعلى ماذا تدل ويحفظ المسائل ويكررها، فيقول: هذه المسألة درستها عند الشيخ فلان، ودرستها عند فلان، وأخذتها من الكتاب الفلاني، وحافظها وحافظ أدلتها واستدلالاتها واستمداداتها وذكرها، وقال الحمد لله أنا الآن صرت مجتهد!

لا، ليس هذا هو الاجتهاد، فإذا كان مجتهد نعطيه القرآن الكريم والسنة النبوية كالكتب التسعة ونعطيه قاموس في اللغة، وحينئذ هل يستطيع أن يستخرج المسائل ويجتهد فيها؟!

إذن الاجتهاد مرحلة متقدمة من طلب العلم، القصد هنا "أهل العلم قد يُخطِّؤون ولكن لا يتسرعون في التكفير" هؤلاء هم أهل السنة المتَّبِعين لسنة النبي ﷺ، أما أهل البِدع "فيسارعون في التكفير والتأثيم" كما سيأتي معنا.

وهنا مجموعة من النقول عن ابن تيمية –رحمه الله– في كتابة (في منهاج السنة)

قال ابن تيمية: "**المتأوِّل الذي قصد متابعة الرسول ﷺ لا يُكفَّر، بل ولا يُفسَّق إذا اجتهد فأخطأ**".[14]

فهو مسلم مُجتهد تأوَّل وأخطأ، قال ابن تيمية من كان في مثل هذا الحال: "**لا يكفر، بل ولا يفسق**".

ثم قال: "**وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية**" [15]. والمسائل العملية المقصود بها: الفقه.

ثم قال: "**وأما مسائل العقائد، فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها**". [16] يعني متفقين أن الانسان إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، كثير من الناس يجعل هذا الحديث فقط في القضايا العملية، أما في العقائد وفي الأخلاق فتحصل فيها كثير من الأخطاء في ضبطها.

ثم قال: "**وهذا القول –يعني أن يُكفَّر أو يُفسِّق المجتهد المتأول المتابع للنبي ﷺ– لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويُكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وقد يسلكون في التكفير ذلك فمنهم من يُكفِّر أهل البدع مطلقًا –يعني يقول أهل البدع فمن ابتدع بدعة فقد ارتد، فكل المبتدعة هؤلاء كفار، وطبعًا هذا قول الخوارج– ثم يجعل كل مَن خرج عما هو عليه من أهل البدع..! وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية، وهذا القول أيضًا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة وهو ليس من قول الأئمة الأربعة –يعني موجود من المنتسبين للمذاهب الأربعة، سواء من الحنابلة والشافعية والأحناف، من يقول بهذا القول رغم أن هذا القول ليس قول الأئمة –رحمهم الله– وإنما قول عند بعض أتابعهم– وليس فيهم من كفَّر كل مبتدع، بل**

---

[14] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – (5/239,240)، ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

[15] المرجع السابق.

[16] المرجع السابق.

المنقولات الصريحة عنهم تُناقض ذلك، ولكن قد يُنقَل عن أحدهم أنه كفَّر مَن قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر؛ ليُحذَر". [17]

فما المقصود من إذا قال كذا وكذا فقد كفر؟ التحذير من هذا القول وأن هذا القول كُفر، وليس حُكمًا على الشخص القائل بالكفر، عندما ينص الفقهاء في كتبهم: "من قال كذا وكذا فقد كفر" معناها أن هذا الفعل كفر، ولكن هل معناها أن أي شخص فعل هذا الفعل فهو كافر؟ لا؛ لأن هذه مسائل تَخضع لأمور كثيرة أخرى، ولكن القصد هو التحذير من هذا الفعل الذي نصوا عليه بأنه كفر.

ثم قال: **"ويكون مقصوده أن هذا القول كفر؛ ليُحذَر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يَكفر كل مَن قاله مع الجهل والتأويل"**

بعض الناس قد يقولوا قول الكفر، أو يفعلوا فعل الكفر، ولكنهم جَهلة أو متأولون.

ثم قال: **"فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه وذلك له شروط وموانع".** [18]

وذكر في موضع آخر أن المجتهد إذا اجتهد فأخطأ أنه أيضًا لا يُكفَّر.

وقال –رحمه الله –: **"فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومُفْتٍ** –أي: صاحب فتوى– **وغير ذلك، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذى كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع، ولا يعاقبه الله ألْبتة، خلافًا للجهمية المجبرة، وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله"** [19]

هنا يقول أن هؤلاء المجتهدين إذا اجتهدوا وأخطؤوا فإنهم مأجورون، ويمكن أن يُحمل قولهم أن كل مجتهد مُصيب، وهناك قاعدة تقول بـ: "أن كل مجتهد مُصيب"

---

[17] المرجع السابق.

[18] المرجع السابق.

[19] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – (5/111)، ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

فهل هذه القاعدة هي صواب أم خطأ؟ إذا كان معناها أن كل مجتهد مصيب بأنه هدي إلى الحق فهذا خطأ؛ لأن المجتهد يجتهد فيخطئ ويصيب، فليس كل من اجتهد هُدي إلى الحق في نفسه، وإذا كان معناها كل مجتهدٍ مصيب بما معنى أنه اتقى الله واجتهد وإن أخطأ فهو مأجور على اجتهاده فهذا معناه صحيح، وهذا معنى كلام ابن تيمية هنا.

وقال: "**وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله، لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه –قد يهتدي للحق وقد يخطئ ولكنه مأجور– خلافًا للقدرية والمعتزلة في قولهم: كل من استفرغ وسعه علم الحق –وهذا من الضلال من يقول أي واحد اجتهد غاية ما يستطيع فما وصل إليه من معلومة قال تلك المعلومة هي الحق! يعني أي إنسان يجتهد يعني لا بُدّ أن يصل إلى الحق، لا! بل قد يصل إلى الخطأ، مثل الحاكم والمفتي وغيره، يجتهد ويفتي فتوى خطأ، ويجتهد ويحكم حُكم خطأ، ولكنه مأجور وإن كان الحكم في الأخير خطأ– فإن هذا باطل كما تقدم، بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب**". [20]

يعني أنه مأجور، إما أجر واحد وإما أجران.

وهناك نقل آخر وقول ممتاز جدًا في (منهاج السنة) أيضًا في المجلد الخامس، وتكلم بكلام رائع جدًا قال: "**الخوارج تكفر أهل الجماعة وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم –إذا الواحد نظر في التاريخ الإسلامي مثلًا في تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) أو في (تاريخ الإسلام) للذهبي، أو (سير أعلام النبلاء)، تجد بحكم التكفير أُريقت كثير من دماء المسلمين من أهل السنة، فقالوا هؤلاء مشبهة وهؤلاء مجسمة، ثم قتلوهم، وكثير من الدماء سُفكت بالتكفير، وهذه عادة أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وغيرهم أنهم يكفرون ويستبيحون الدماء بناءً على ذلك– وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يُكفِّر فَسَّق، وكذلك أهل الأهواء يبتدعون رأيًا ويكفرون من خالفهم فيه –يبتدع بدعة ومن خالفه عليها، قال: هذا مرتدا!– وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ ولا يكفرون من خالفهم فيه بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله:**

[20] المرجع السابق.

{كنتم خير أمة أخرجت للناس}[21]، قال أبو هريرة: **كنتم خير الناس للناس وأهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس".** [22]

يعني ابن تيمية أن أهل السنة المتبعين لسنة النبي ﷺ هم الصفوة من البشر، المهتدين بهدي محمد ﷺ المستنين بسنته ﷺ الذين أخذوا من نور هدايته ﷺ فهؤلاء هم النقوة من البشر، وهم خير الناس للناس.

ثم ذكر هنا حادثة مهمة جدًا، أنا أحب أن تنتبه معها، قال: **"وقد عُلِم أنه كان بساحل الشام جبل كبير –وهذا لعله في لبنان– فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس ويأخذون أموالهم وقتلوا خلقًا عظيمًا وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان –هذا في حرب التتار، انهزم المسلمون في أحد المعارك– أخذوا الخيل والسلاح والأسرى وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مرَّ بهم من الجند وكانوا أضر على المسلمين من جميع الأعداء، وحَمَل بعض أمراؤهم راية النصارى –رغم أنه يدَّعي الإسلام– وقالوا له: أيما خير المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تُحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين، ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر في غزوهم وكتبتُ جوابًا مبسوطًا في غزوهم –الجواب هذا سؤال وجواب كتبه ابن تيمية وموجود في الفتاوى في المجلد 28– وذهبنا ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم وجرَت بيني وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها فلما فتح المسلمون بلدهم، وتمكن المسلمون منهم نَهيْتُهم عن قتلهم وعن سَبْيِهم –قال لا تقتلوهم، انكسرت شوكتهم؟ لا تقتلوهم ولا تسبوهم–، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين؛ لئلا يجتمعوا".** [23]

وأمر ابن تيمية –رحمه الله– أن يُرسَل لهم الدعاة والخطباء والوعاظ، وتُقام فيهم الجُمَع وتقام فيهم الجماعات، ويقام فيهم العلم؛ حتى يتوبوا، وهذه فتوى ابن تيمية –رحمه الله– في الشيعة الرافضة بعد أن كُسرت شوكتهم.

والقصد من هذا الكلام أن أهل البِدع مراتب، ليس كل أهل البدع كُفَّار ولكن هناك من أهل البدع من كفروا وتزندقوا، وهناك من أهل البدع من هم مسلمون، وهناك من أهل البدع من هو متقي لله ومعذور، فهم درجات فلا

---

[21] سورة آل عمران، الآية (110).

[22] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – (5/158)، ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

[23] المرجع السابق. بالإضافة الى الصفحة (159–160)

نجعلهم كلهم شيء واحد، فنقول كل أهل البدع مسلمون، فهذا خطأ، أو نقول كل أهل البدع كفار! لا، إنما هم درجات فكيف نتعامل معهم؟ بالكتاب والسنة، من قال الله -سبحانه وتعالى- بأنه كُفُر، حكمنا بأنه كفر، وما سماه الله -سبحانه وتعالى- بأنه عصيان قلنا بأنه عصيان، ومن عذرهُ الله -تبارك وتعالى- عذرناه.

قال ابن تيمية: "**فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول من ابتدع الرفض كان منافقًا، وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق؛ ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرفض والجهمية لقربهم منهم. ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنًا وظاهرًا -يعني مؤمن على الحقيقة وفي الظاهر- لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقًا أو عاصيًا، وقد يكون مخطئًا متأولًا مغفورًا له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصلين**". [24]

هذه المسألة مهمة جدًا، أن أهل العلم قد يُخطِّؤون ولكن لا يتسرعون في التكفير. هذه قاعدة.

القاعدة التالية من قواعد الإنصاف "الإقرار بما عند المخالف من صواب"، الإنسان المبتدع أو المخالف ليس كل ما عنده هو باطل أو خطأ، لا، فيه صواب وفيه خطأ، لا يكون الخطأ الذي عنده هو مانع من قبول الحق الذي معه، وما من إنسان إلا عنده خطأ، وكثير من الناس قد وقعوا في بدع فمن غير المعقول أن تُلغي الناس جميعًا، يعني مثلاً تنظر في كتب الأصول، فما هو كتاب الأصول الذي ليس فيه خطأ؟ وما هو كتاب التفسير الذي ليس فيه خطأ؟ لا يسلم ولا كتاب، إلا كتاب الله -تبارك وتعالى- وصحيح السنة، أما كتب الإسلام كلها تجد فيها المتأثر بالمعتزلة، ومن هو متأثر بالأشاعرة، ومن عنده بدعة هنا ومن عنده بدعة هناك، إذا ألغيناهم من يبقى؟! لن يبقَ أحد.

فمن قواعد الإنصاف "الإقرار بما عند المخالف من صواب"، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "**وأنت تجد كثيرًا من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئًا ولا يعدهم إلا جُهالًا ضُلالًا -المهتمين بالفقه يرون الذين يهتمون بالتصوف والتزكية والتربية والمتعبِّدة أنهم جهلة وينسفونهم- ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئًا، وترى كثيرًا من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئًا، بل يرى أن المتمسك بها منقطعًا عن الله**

---

[24] مجموع الفتاوى (3/354،353).

وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئًا، وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل".[25]

إذن يُفهم من ذلك قبول الحق من المخالف، إنسان مخالف، عنده رأي، عنده بدعة! فالبدعة بدعة، والحق حق.

ومن قواعد إنصاف أهل القبلة أمة محمد ﷺ "قبول الحق من أيٍّ كان"، إذا جاء الحق يُقبل فلا يكون هناك للإنسان منفذ واحد لقبول الحق، وهي "جماعتي ومن وافقني ومن قال في المسألة الفلانية كذا فسأقبل منه، ومن قال في المسألة الفلانية خلاف ما أعتقد لن أقبل منه" هذا خطأ. وهذا منهج الصحابة وهو قبول الحق من أيٍّ كان.

وقال ابن حزم: "**قال رجل لابن مسعود –وهذه من حكم ابن مسعود رضي الله عنه–: أوصني بكلماتٍ جوامع، فقال له ابن مسعود: اعبد الله ولا تشرك به شيئًا وزل مع القرآن حيث زال –يعني در مع القرآن حيث ما دار– ومن أتاك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن أتاك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيبًا قريبًا**". [26]

فهذه من وصايا ابن مسعود –رضي الله عنه–، وقال ابن تيمية في (منهاج السنة): "**والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا –انتبه– إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق**". [27]

نقبل الحق من أين ما جاء.

وقال ابن تيمية في (الفتاوى): "**بعض المتسننة والجهال –أي: بعض الذين يريدون أن يتبعوا السنة ولديهم جهل– إذا رأوا ما يثبته أولئك –أي: المبتدعة– من الحق، قد يفرون من التصديق به، وإن كان لا منافاة بينه وبين ما ينازعون أهل السنة في ثبوته، بل الجميع صحيح**". [28]

تكون لدى المبتدعة مسألة باطلة ومسألة صواب، فيَمتنع من قبول الحق لوجود البدعة.

والقصد من هذا الكلام، أنه يُقبل الحق من أين ما جاء، ويرد الباطل من أين ما جاء.

---

[25] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – (79/1)، ط: مكتبة الرشد – الرياض، تحقيق: د.ناصر بن عبد الكريم العقل.

[26] الإحكام في أصول الأحكام – (185/4)، ط: دار الآفاق الجديدة، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر.

[27] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – (2/342)، ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

[28] مجموع الفتاوى (25/6).

ومن قواعد إنصاف الأمة وأهل القبلة، "لا إلزام في مسائل الخِلاف" مسألة خلافية واختلف فيها الاجتهاد لا يُلزم الناس برأي واحد، هذا من الخطأ، والخطأ أعظم منهُ الإلزام بالتقليد فأكون أنا مُقلَّد وأنت مقلَّد فأُلزم عليك لا بُدّ أن تقلد من أنا أقلده سواء في مسائل العقائد أو في مسائل الأحكام! كحديث صححه فلان فأنا مقلد للشيخ الفلاني في تصحيح الحديث، وأنت مقلد الشيخ فلان في تضعيفه، فأقول لك: لا، لا بُدّ أن تقلد من أنا قلدته فتقول أن الحديث حكمه كذا!

عندي اجتهاد في عمل معيَّن والناس مختلفة في آرائهم فعندي اجتهاد أن مخرج الأمة كذا وكذا، فأُلزم الخصم أن يُقلَّد من أنا أقلده، فهذه مسألة بعيده!

إذن لا إلزام في مسائل الخلاف؛ المسائل الخلافية مسائل اجتهادية والمقلِّد مقلِّد، فكيف يُلزم غيرَه بأن يقلِّد من يقلدَه؟!

قال ابن تيمية: "**وما من الأئمة إلا من له أقوال وأفعال لا يتابع عليها مع أنه لا يذم عليها، وأما الأقوال والأفعال التي لم يعلم قطعًا مخالفتها للكتاب والسنة بل هي من موارد الاجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان، فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بين الله له الحق فيها، لكنه لا يمكن أن يلزم الناس بما بان له ولم يَبن لهم**". [29]

مسألة خلافية لكني اهتديت فرأيت أن هذه المسألة بالنسبة لي أصبحت واضحة جدًا وأنها قطعية، وأن الاحتمالات الأخرى كلها مرجوحة ولكن عند الآخرين لا زالت المسألة غير قطعية، فلا بُدّ أن يقلدوني؟ لا، ويبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، فلا إلزام في مسائل الخلاف ولكن الأمر بالمعروف والنصيحة.

المسألة الأخيرة من قواعد الإنصاف "الأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر" الحكم على الناس يكون حسب ظواهرهم، فلا أُنقِّب عنهم وأقول: لا هو أصلًا يقصد كذا وكذا! فإذا لم تجد قرينة بينة واضحة جلية على مُراد فلان بالكلام أو بالفعل فالأصل أن نقبل من الناس ظواهرهم، وسرائرهم على الله –تبارك وتعالى–، في صحيح البخاري عن عبد الله بن عتبة قال: سمعتُ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يقول: "**إن أناسًا كانوا يؤخَذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذ الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس**

---

[29] مجموع الفتاوى (**383/10**).

إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا –أو قال شرًا– لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة". [30]

القصد، الأخذ بالظواهر والله –سبحانه وتعالى– يَتولى السرائر.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا لطاعته ويصرف عنا معاصية، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[30] صحيح البخاري: (**2641**).

الدرس الثالث

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله، وسلِّم وبارك، أما بعد:-

كان الحديث في الدروس السابقة عن مفهوم الأمة، من هي الأمة؟ وعن الولاء للمؤمنين، ثم كان الحديث عن إنصاف أهل القبلة، والعبد لا بُدّ أن يتقي الله -تبارك وتعالى- في معاملة الخلق؛ لأن الإنسان يعامل الله -تبارك وتعالى- بالعبادات المحضة، ويعامل الله -تبارك وتعالى- مع خَلْقِه، فَتعامُلي مع البشرِ تعاملي مع الله -تبارك وتعالى-.

كيف نعامل الله في خَلْقِه؟ نعامل الله -تبارك وتعالى- في خلقهِ كما يُريد ربنا - تبارك وتعالى-، وكما يحب ربنا - تبارك وتعالى-، والله -سبحانه وتعالى- يحب العدل، وينهى عن الظلم، وعن قول الزور، وعن الكذب، وعن الافتراء.

العدل حتى مع الخصوم والمخالفين، العدل! فبالعدل قامت السماوات والأرض.

الإنصاف، كما يحب الإنسان أن يُنصَف من الآخرين لا بُدّ هو أيضًا أن يكون مُنصِف، والقصد هو رضوان الله - تبارك وتعالى-، فيتقي الله في عباد الله -تبارك وتعالى-، ويعاملهم بما أمر الله -تبارك وتعالى- أن يُعَامَلوا، من حكم الله بإسلامِهِ قلنا أنهُ مسلم، ومن حكم الله -تبارك وتعالى- بكفرهِ وردته قلنا أنهُ كافر مرتد، وأمة محمد ﷺ فيها الكثير من المذاهب والأفكار والأحزاب والتجمعات والتنظيمات، كلها منضوية في أمة محمد ﷺ، وإن كان بعضهم فيهم أخطاء وبعضهم فيهم بدع، ولكن كلها أمة محمد ﷺ.

ومسألة الحكم على طائفة بأنها على الإسلام وأنها على الكفر، هذه مسألة مُهمة وخطيرة ولا بُدّ لها من تقوى وورع، ومن الظلم أن يُوصَف المسلم بما ليسَ فيه، كما قال النبي ﷺ: (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رِدْغَة الخَبَال حتى يأتي بالمخرج مما قال)[31]، في نار جهنم -والعياذ بالله-.

مثلاً الذين ذكرهم ابن تيمية -رحمه الله- مع المرجئة والكرامية والمعتزلة، قال هؤلاء هم أمة محمد ﷺ، الآن لا توجد طوائف بهذا الاسم، بل موجود الآن مثل ما تقول: السرورية والإخوان وحزب التحرير وجماعة التبليغ والجهاديين بأصنافهم والسلفيين بمدارسهم، هذه أمة محمد ﷺ، فلا يوجد أحد يقول بأن السرورية طائفة كفر وردة! ولا أعرف

[31] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: 6196

عالم من أهل السنة يقول بأن الإخوان المسلمين طائفة كفر وردة! فيهم الصالح وفيهم الطالح والجهاديين أيضًا فيهم، فيها المؤمن وفيها التقي وفيها المرتد وفيها كَفَرة -أي الجواسيس- ويُشافون ويُقتلون، وكذلك المدارس الأخرى، المدرسة السلفية والمدرسة السرورية ومدارس التربية ومدارس الإخوان المسلمين، أمَّا أن نحكم على الطائفة كلها بأنها ليست من أمة محمد ﷺ أو أنها عدوَّة لله أو عدوَّة للمسلمين هذا أمر خطير!

الجماعة الجهادية يخترقها الجواسيس، وهذا صحيح، موجود فيها جواسيس، ولكن هل هي عدوَّة للإسلام لأن فيها جاسوس؟ لا، وكذلك الجماعات الأخرى التي اتخذت التربية منهج أو أسلوب، فيهم المخطئ وفيهم المذنب وفيهم المرتد وفيهم التقي، لكن إجمالًا لا نعرف أن أحد قال بـ: أن السلفية السرورية أنهم طائفة كفر وردة! -معاذ الله-، لا نعرفهم إلا مسلمين، وكذلك الإخوان المسلمين، أو حزب التحرير، أو جماعة التبليغ، وجماعات كثيرة من جماعات المسلمين ولكن هذه أمثلة.

فالتعامل بإنصاف مع أمة محمد ﷺ، فأنت تراهم على خطأ، وهم من الجانب الآخر يرونك على خطأ، أنت ترى بأنهم خذلوا الأمة، وهم يرونك من الجهة الأخرى أنك أيضًا أضررتَ بالأمة، ولكن يبقى الإنصاف والتقوى.

والمسألة الثالثة: وهي التناصح، "قَوْلي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب" قولي صواب؛ لذلك أنا أقول بِهِ، ولكن قد يكون فيه خطأ، فإذن قابل للمراجعة اسمع وانصح وتَناصَح، أنصح الآخرين وأقبل النصيحة من الآخرين، والنصيحة عبادة لله -تبارك وتعالى-.

الإنسان إذا نصح هو الآن في النصيحة يعبد الله -تبارك وتعالى-، يتقرَّب إلى الله -تبارك وتعالى- بالنصيحة للمسلمين، فهي عبادة من العبادات، مثل عبادة الجهاد، مثل عبادة الصيام، مثل عبادة الصلاة، مثل عبادة الذكر، عبادة اسمها عبادة "النصيحة"، فالنبي ﷺ قال: (الدين النصيحة)[32]، فالنصيحة عِبادة لله -تبارك وتعالى-، فأنا واجب علي أن أفعل هذه العبادة، كيف أفعل هذه العبادة؟ أن أنصح المسلمين، وأن أقبل النصح من المسلمين.

وما هي شروط قبول النصيحة؟

---

[32] صحيح مسلم: (55).

حتى تكون النصيحة مقبولة -ولكن انتبه- النصيحة مقبولة عند مَن؟ أول ما يتبادر للذهن النصيحة مقبولة عند المنصوح، وقبل أن تنظر إلى قبول النصيحة عند المنصوح، انظر إلى قبول النصيحة عند الله -تبارك وتعالى-؛ لأنها عِبادة، فأنا إذا أردت أن أنصح أخي المسلم أو الجماعة المسلمة لا بُدّ أن أراعي أن في هذه أنها عبادة لله -تبارك وتعالى- وأني أريد من الله أن يتقبل مني هذه العبادة، فلا بُدّ أن تكون خالصة لله -تبارك وتعالى- حتى يتقبلها الله -سبحانه وتعالى- منّي، وقبل أن أنظر هل هي مؤثرة في المنصوح أو غير مؤثرة فيه، أو هل سيقبلها أم لن يقبلها، وما هو الأسلوب؟ لا، ابتداءً هذه العبادة -التي هي عبادة النصيحة- لا بُدّ أن تكون خالصة لله -تبارك وتعالى- وموافقة للسنة، وهذا شرط قبول الأعمال: الإخلاص والمتابعة.

فالنصيحة ابتداءً هي عبادة نعبد الله -تبارك وتعالى- بها ونقدمها للخلق، فَأَنظُر ابتداءً أن هذه عبادة أتقرب بها إلى الله -تبارك وتعالى- تزيدني إيمانًا وأزداد بها قربة من الله -تبارك وتعالى- وإن زادتني بُعدًا من المنصوح! فقد أنصح شخص وأزداد منهُ بعدًا ولكن ازددت من الله قربًا، متى؟ إذا اتقيت الله -سبحانه وتعالى- في هذه النصيحة، وعَمِلْت بها كما أراد الله -سبحانه وتعالى-.

ويشترط في النصيحة الشروط التي في الأعمال الصالحة، الإخلاص والمتابعة، ثم ننظر في الأسلوب الأمثل لقبول النصيحة، هي ليست كلمة عابرة تقولها ثم تقول: أنا خلاص برَّيتُ ذمتي، لا؛ فأنا أريد أن أصحح من هذا الواقع وأصلح من هذا الشخص وأُصلح من هذه الجماعة وأُصلح من هذا الشأن، فأبحث عن الأسلوب الأنسب والأصلح والأفضل حتى تُقْبَل هذه النصيحة، وهذه تُرجع لكتب الآداب ويُنظَر فيها ما هي آداب النصيحة، وهي تَختلف، من متى تكون سر، ومتى تكون جهر؟ ومتى تكون برفق ولين، ومتى تكون بشدة؟ تحتاج إلى حكمة.

فالنصيحة تُعطى وتؤخذ، ولا ينبغي للمجاهدين أن يقولوا: لا ينبغي للقاعدين أن ينصحوا المجاهدين! بل لا يسع القاعد السكوت عن النصيحة، فالقاعد عن الجهاد لا يجوز له أن يكتم النصيحة للمجاهدين، فيأتي أحد ويقول: أنت قاعد وتنصح؟! بل هذا واجبه الشرعي! فالله أمرهُ بذلك، أمره بالنصيحة للمجاهدين والمؤمنين، ولكن هذا قاعد وينصح؟! نعم، قاعد وينصح وهذا واجب عليه، وواجب عليك أن تسمع وتنتصح، وتنظر ما هذا الأمر الذي نصحك به؟ هذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، استنفار في أمة محمد ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال النبي ﷺ: (من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف

الإيمان)[33]، استنفار لجميع الطاقات لصد المنكرات وللأمر بالمعروف، فإذا وجد إنسان قاعد سواء كان قاعد بعذر أو بدون عذر؛ لأن هناك أشخاص قاعدون الجهاد معذورون وعذرهم الله -تبارك وتعالى-، ومن الذي يُنكر العذر؟! هناك أشخاص فعلًا معذورون وجماعات معذورة وفئام من الناس معذورون عن الجهاد، وهناك أشخاص ليسوا معذورين ولكنهم متأولين، فيقول: نعم سوف أقاتل ولكن ليس الآن، بعد شهر أو سنة لعذر! فهو متأول، فهذا أيضًا واجبه النصيحة.

فالمجاهدون يَنصحون ويقبلون النصح، وليس الناصح عدو، الناصح صديق، والناصح ولي، والناصح رفيق، أمة واحدة، كتلة واحدة، ولاء واحد، الجميع يشدُّ بعضه بعضًا، فلا بُدّ أن ينصحني، إذا كان كل من ينصحني عدو!! فأنا هدمت ركن عظيم جدًا من أركان المجتمع المسلم، (الدين النصيحة) وأقول: أنا لا أقبل النصيحة إلا ممن وافقني ومن جماعتي ومن خاصتي! سبحان الله العظيم! فُلان خارج التنظيم ينصحنا في التنظيم، نأخذ نصيحته؟ فيقول من هذا الذي ينصحنا؟! أنت؟!.... سبحان الله العظيم!

أنظر في النصيحة ما منها صواب أخذتها، وإذا كان شيء مخالف للكتاب والسنة تركتهُ، واشكرهُ على ما قدم لك من النصيحة؛ لأنه لا ينصح إلا مُحب، أو مريد للخير، وقد يوجد إنسان ينصحني بأسلوب غير مناسب فتقبل منه النصيحة وتنصحه: أنصحك أن تستخدم الأسلوب الفلاني في النصيحة، أن تنصح بكذا وكذا وكذا.

فهذا شعار في أمة محمد ﷺ (الدين النصيحة)، فتجب النصيحة على كل حال.

- إذن أمة محمد ﷺ يجب لها الولاء، الولاء لها جميعًا.

- الثاني وهو الإنصاف مع أمة محمد ﷺ.

- ومع الولاء والإنصاف لا بُدّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ليس من معنى الإنصاف الإقرار على الباطل: هذه الجماعة مبتدعة فأنا أقبل بأنها مبتدعة! لا، أنا لا أقبل ببدعتها أنا آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

[33] صحيح مسلم: (49).

جماعة مخطئة وأتركها على خطئها، لا، لا أتركها على خطئها، أُبيِّن وأنصح وأقوم لله -تبارك وتعالى- بما أمر الله -سبحانه تعالى- بهِ، وكذلك ينصحني الناس، لا يوجد شخص يقول أو جماعة تقول: الحمد لله أنا استوفيت أمري ولا أحتاج أحد ينصحني، من هذا؟!! فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلا يوجد أحد فوق النصيحة أو أحد مُستغني عن النصيحة، هذا جهل وهذا ظلم للنفس، إذن هذا صمام الأمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلم، هذه من القواعد الأساسية ومن أهم العبادات في الدين (الدين النصيحة) كما قال رسول الله ﷺ.

مع النصيحة لا بُدّ من تعاون؛ لأننا أمة واحدة لا بُدّ أن نتعاون، أمة محمد ﷺ لا بُدّ أن تخرج من الأزمة التي هي فيها اليوم، عدو صائل وهجمة على الأمة فلا بُدّ الجميع أن يدفع.

طيب كيف نتعامل مع المبتدعة؟ فهؤلاء أنصفناهم أنهم ليسوا كفار وهم مبتدعة، كيف نتعامل مع المبتدعة؟ إذا نظرت في كلام السلف تنظر هَجْر المبتدع وغيره، نعم هجر المبتدع مشروع ولكن عبادة الهجر أيضًا -وهي عقوبة تعزيرية- الهجر خاضع للمصلحة، يعني ليس كل من أخطأ خطأ لا بُدّ حتمًا لازمًا أن يُهجر! ليس كل صاحب معصية لا بُدّ أن يهجر، ولا كل صاحب بدعة لا بُدّ أن يُهجر، لا، يُنظَر فيه إلى المصلحة فإذا كانت المصلحة في هجرِه هجرناه، وإذا كانت المصلحة في تقريبِهِ وتأليفِهِ قرّبناه وألّفناه، أليس من شعائر الإسلام ومن مصارف الزكاة "المؤلفة قلوبهم"؟! من هم المؤلفة قلوبهم؟ هو كل مَن يُرجى خيره ويُخشى شره، باختصار، حتى ولو كان كافرًا! فهذا المسلم العاصي أَوْلى!

إذن الهجر لمصلحة المخطئ ولمصلحة الجماعة المسلمة، قال ابن تيمية في الفتاوى: "**وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم -عندما تكلم السلف -رضوان الله عليهم- عن هجر المبتدع كانت دولة الإسلام قائمة، والسنة هي الظاهرة، وأهل البدع والمعاصي مستخفون، أما الآن الظهور للطواغيت، والقوة للكفر، والظهور للعصيان والمعاصي، وأصحاب الطاعة قليل وفي حالة استضعاف- فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله -لكي يتعظ العامة فلا يفعلوا فِعلهُ- فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يُفضي هجره إلى ضعف شره وخفيته كان مشروعا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يُشرع الهجر -إذا كانت ثمرة الهجر عسكية، فيقال بأن هذا العمل غير مشروع؛ لأن ضررهُ أكثر، فيكون ممنوع غير مشروع،**

يعني غير جائز- بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأديب. ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين" [34] هذه في مسألة هجر المبتدع.

طيب، جاءك عدو يجتاح الأخضر واليابس، أشد من حملة هولاكو، ادعُ الناس لدفع هذا العدو الصائل، قم معهم، جميعًا نقوم في سبيل الله، ونتناصح ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

باختصار، الجهاد مثل الحج، هل يصح أن نقول: الحج، لا بُدّ أن يحج أهل السنة، والمبتدعة ممنوعون من الحج، وأي إنسان عنده بدعه ممنوع ولا يحج، ويكون شعار الحج "لأهل السنة" أحد يقول هذا؟ لا يمكن!

وفي صلاة الجماعة، نقول المسجد هذا ممنوع دخول غير أهل السنة والجماعة، هذا أمر لا يمكن ولا يتم! وإنما تدعو الناس للصلاة ويأتي المسلمون يصلون في الصف الأول يصلي المعتزلي والسني والأشعري والماتريدي والجهادي والسلفي والإخوان والسرورية، كلهم يصلون، وكلهم يحجّون، هل حجهم صحيح أم فاسد؟ هل صلاتهم صحيحة أم فاسدة؟ صحيحة، وكذلك الجهاد.

لكن ليس معناه أن نحج معهم ونصلي جميعًا أن نقر بالخطأ، لا، لا نقر بالخطأ وإنما نُقدَّم في الإمامة أتقانا لله وأتبعنا للسنة، ونقدم للخطابة أعلمنا بكلام الله وبكلام رسوله ﷺ والقائم بالسنة والمتَّبع لهدي محمد ﷺ وهذا هو الأَوْلى وهذا هو الذي يُقدَّم، لا نُقدّم المبتدع مخالف لهدي النبي ﷺ ولا نُقدّم إنسان فاسق أو عاصي! لا، بل نقدم من قدّمهم الله، وكذلك الجهاد نقدم الإمارة وغيرها لأهل الصلاح والخير وأهل العلم وأتباع سنة النبي ﷺ، ولكن يحج الناس جميعًا ويصلي الناس جميعًا ويجاهد الناس جميعًا، إذا فقهنا هذا الأمر يتضح لدينا مفهوم دفع العدو الصائل، أمة محمد ﷺ جميعًا، الجهاد ليس خاصًا بفئة، واجب على جماعة فلان أو على قبيلة فلان! لا، هو واجب على الأمة جميعًا فتجاهد الأمة جميعًا.

هذه مجموعة من المفاهيم أحببت أن أتذاكرها مع إخواني، وجزاكم الله خير وأشكركم على الصبر وإن كانت يعني في عدة دروس وفي أوقات ... والحمدلله، ولكن إن شاء الله فيها خير، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا لطاعته، فتحدثنا عن:-

---

[34] **مجموع الفتاوى** (206/28).

1. مفهوم الأمة، أن أمة محمد ﷺ هم المستجيبون لمحمد ﷺ برَهم وفاجرهم.

2. ووجوب الولاء للمسلمين جميعًا طائعهم وعاصيهم، مع تفاوت درجة الولاء.

3. والإنصاف، إنصاف المسلمين وإعطاء كل ذي حق حقه وقدره.

4. والتناصح والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5. والأمر الأخير وهو التعاون، قال الله –سبحانه وتعالى–: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}. [35]

وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يهدينا للصواب، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

35